Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 41:4 (2006)

اللسانيات والفيلولوجيا وفقه اللغة العربية (نقد وتوجيه)

رابح بوحوش

نقل العلماء اللغويون العرب مصطلح[١]: "Philology" إلى العربية بصور مختلفة، فسمّوه علم اللغة، أو فقه اللغة، أو فقه اللغة المقارن، أو النحو المقارن، أو اللسانيات، وقد عرفت الدراسات اللغوية في جامعاتنا العربية هذه المصطلحات، فلم تسلم من الخلط الذي أدّى إلى الاضطراب في الفهم وتحديد المفهوم وميدانه، إذ فيه من ألّف كتابا باسم علم اللغة، وهو يعني به فقه اللغة، وهناك من أطلق على دراسته اسم فقه اللغة، وهو يقصد علم اللغة، فنتج عن هذا الخلط لبس لدى الطالب بالجامعة ولدى الباحث المختصص وغير المختصص في اللغة.

ولا شك أن مشل هذا السلوك في النقل ينفر القارئ ويخيف المقدم على دراسته وتعلم أسراره، يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: "أما بحوث علم اللغة نفسها فقد درس المؤلفون من العرب بعضها تحت أسماء مختلفة أشهرها اسم فقه اللغة، وهذه التسمية هي خير ما يوضع لهذه البحوث، إذ فقه الشيء هو كل ما يتصل بفلسفته وفهمه، والوقوف على ما يسير عليه من قوانين، فقد قال صاحب **المصباح**: "الفقه فهم الشيء"، وقال ابن فارس: "كل علم لشيء هو فقه"، وقد كنا نود أن يسمى كتابنا هذا باسم فقه اللغة لولا أن هذا الاسم قد خصّص مدلوله في الاستعمال المألوف، فأصبح لا يفهم منه إلا البحوث اللغوية المتصلة بفقه اللغة العربية وحدها"[٢]. هكذا يفضّل علي عبد الواحد وافي إدراج الأبحاث اللغوية التي تقدم في مجال اللسانيات ضمن موضوعات "فقه اللغة"، وهو يقصد "فقه

١- عبده الراجحي: **فقه اللغة حسب الكتب العربية**، بيروت، ١٩٧٩م، ص ١٠.

٢- علي عبد الواحد وافي: **علم اللغة**، مصر، الطبعة السابعة، ص ١٣.

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

اللغة" الذي اهتدى إليه ابن فارس[٣]، والثعالبي[٤] في كتابيهما: **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، و **فقه اللغة وسر العربية**، وليس فقه اللغة بالمفهوم العلمي كما تحدده المعجمات اللسانية المتخصصة.

وقد سار في هذا الاتجاه الدكتور محمد المبارك، إذ أشار إلى أن البحث اللغوي قد تطور، وارتقى حتى بلغ مستوى عاليا في أواخر القرن الرابع الهجري في مؤلفات أحمد ابن فارس صاحب كتاب **الصاحبي في فقه اللغة** و **سنن العرب في كلامها**، وابن جني صاحب **الخصائص**، وقد ظهرت لهذين المؤلفين فكرة واضحة عن اللسانيات بالمعنى المعروف في عصورنا الحديثة[٥]. وينطلق الدكتور صبحي الصالح من الفكرة ذاتها، فيعتبر التفرقة بين المصطلحين أمراً تافهاً لا وزن له، وينصح اللغويين ألا يستبدلوا شيئاً بالتسمية القديمة، يقول: "وإنه ليحلو لنا أن نقترح على الباحثين المعاصرين ألا يستبدلوا بهذه التسمية القديمة شيئاً "أي فقه اللغة" وأن يعمموه على جميع البحوث اللغوية، لأن كل علم لشيء فهو فقه، فما أجدر هذه الدراسات جميعاً أن تسمى فقها"[٦]. إن هذا التداخل بين الحدود والاضطراب في التسميات لا يفيد العلم في شيء، ولا يضيف إلى الثقافة العربية الجديد النافع، وقد أشار الدكتور محمود فهمي حجازي إلى سلبية هذا الاختلاف بقوله: "إن تداخل المصطلحات بعضها بالبعض الآخر لا يفيد العلم، وقد يؤدي ذلك إلى تمزق مجلات البحث العلمي في اللغة، وإهمال الكثير من قضاياه، وإلى عدم وضوح في تصور الكثيرين تجاه جوانبه المتكاملة، ولذا نرى ضرورة ترك الدلالات الموروثة من الماضي للحديث في تاريخ العلم واستخدام تسمية موحدة واضحة"[٧]. يبدو أن الاقتراح وجيه، ومنه ننطلق لتحديد المصطلحين في الثقافة الغربية والثقافة العربية، ولكي نضبط المفهومين لا بد من إخضاعهما إلى الفحص الدياكروني، والدراسة التاريخية والتطورية.

٣- توفي سنة ٣٩٥هـ.

٤- توفي سنة ٤٢٩هـ.

٥- انظر كتابه، **فقه اللغة وخصائص العربية**، (دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد).

٦- صبحي الصالح: **دراسات في فقه اللغة**، بيروت، ١٩٨٢م، ط ٢، ص ص ٣، ٥.

٧- محمود فهمي حجازي: **علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة**، ص ٤٨.

أولاً ـ فقه اللغة عند الغربيين:

اختلف اللغويون الغربيون في استخدام مصطلح واحد للدلالة على فقه اللغة وموضوعاته، فلم ينجوا من مرض الاختلاف والاضطراب. يقول عبده الراجحي: "وهنا نشير إلى أنه كما يختلف الغربيون حول منهج علم اللغة وحول عدد كبير من مسائله، فإنهم يختلفون كذلك حول فقه اللغة"(٨). ونجد في هذا السياق نفسه أن جسبرسن "Jespersen" يذهب إلى أن فقه اللغة مرادف عند الإنجليز للدراسات المقارنة بين اللغات بينما يعني هذا عند الآخرين دراسة حضارة معيّنة لأمّة ما(٩). كما نجد "روبتر" ينبّه إلى أن مصطلح فقه اللغة يستعمل استعمالا مختلفا عند البريطانيين والألمان، "ففي استعمال البريطانيين يتساوى الاصطلاح مع فقه اللغة المقارن الذي هو أقدم، وما زال معروفا عند الغربيين على ما يسمونه اللسانيات التاريخية أو النحو المقارن، وهو يعني عند الألمان الدراسة العلمية للنصوص الأدبية القديمة، وخاصة النصوص اليونانية والرومانية القديمة، ويعني أكثر من ذلك دراسة الثقافة والحضارة من خلال النصوص الأدبية. أما فقه اللغة المقارن في انجليترا فيعني ذلك عند الألمان النحو المقارن أو اللسانيات التاريخية.

ولفقه اللغة استعمالات مقابلة في اللغات الأوروبية وفي دوائر الدراسات بأمريكا، وربما جاز أن نعتبر الاصطلاح بهذا الاستعمال مناسبا لما يربط بين اللسانيات باعتبارها علما، وبين الدراسات الجمالية والإنسانية للأدب، وللميدان الذي يعتمد فيه مؤرخ مظاهر الحضارة المتباينة نتائج اللساني في فهم النصوص والنقوش، وفي وضع أسس معتمدة المخطوطات والوثائق والمواد لتكون دعامة لدراسته. والصلة بين اللسانيات وفقه اللغة بهذا المعنى الأخير قريبة جداً، وكثيراً ما يتلاقى ميدانهما. واللسانيات بمعناه الضيّق تركّز على التحليل لتركيب اللغة ووصف ميدانها الأساسي، وعندما يوسّع اللسانيون (Linguists) ميدان موضوعاتهم، فيعالجون المعنى، فإنهم يقتربون من مجال فقه اللغة"(١٠).

هكذا نتبين أن مصطلح فقه اللغة لم يكن ثابتا في أذهان الغربيين، ولم يكن واضحا، إذ اكتنفه الغموض وأحيط به الاختلاف، وهو اختلاف كان في الماضي واستمر إلى يومنا هذا، لذا نجد اللساني الان "Allen" في محاضرته التي ألقاها بجامعة كامبردج يدعو إلى واجب التفريق بين

٨- عبده الراجحي: **فقه اللغة حسب الكتب العربية**، ص ٢٦.

٩- Jespersen***: Language***, Paris, 1968 p. 64

١٠- محمد أبو الفرج: **مقدمة لدراسة فقه اللغة**، بيروت، ١٩٦٦م، ص ص ١٥-١٦، وعبده الراجحي: **فقه اللغة حسب الكتب العربية**، ص ٢٧.

المصطلحين "فقه اللغة" Philology، و "اللسانيات" Linguistics ومن هنا يتضح أن الاضطراب في تحديد مصطلح فقه اللغة ليس وارداً عند العربي، بل نجده متفشيا عند أهل الصناعة في الغرب. وقد بدا لنا من المفيد أن نورد فيما يلي أهم المراحل التي تحدد تطور الدراسات اللغوية في الغرب منذ نشأتها حتى القرن التاسع عشر فترة اكتشاف اللغة السنسكريتية(١١):

أ- الدرس اللغوي عند اليونان:

اهتم اليونانيون القدامى بلغتهم فدرسوها وأولوها رعاية خاصة، وتابعهم في ذلك الرومان غير أن أعمالهم في اللغة كانت متأثرة بالمنهج العقلي الذي كان سائدا بينهم حيث هيمنت آراء أرسطو اللغوية، وقد تميزت دراستهم على الجملة بالمسحة التجريدية الفلسفية باعتماد المنطق الأرسطي، فكان الاهتمام بنشأة اللغة والعلاقة بين اللغة والفكر والعلاقة بين الألفاظ والمعاني،(١٢) فغابت النظرة الخالصة إلى اللغة وسادت الأحكام المعيارية، وكان الهدف من الدراسة هو تنظيم قواعد تميز بين الصيغ الصحيحة وغير الصحيحة، أي اعتماد الواقع اللغوي الذي يصف نظام اللغة عاريا من الأحكام العلمية(١٣).

ب- الدرس اللغوي عند الهنود القدامى:

تعد الدراسات اللغوية الهندية من أبرزها وأهمها، اذ اهتم اللغويون الهنود بلغتهم اهتماما كبيرا من خلال كتابهم المقدس **الويدا** يقول جورج مونين: "لعلنا نعثر عند قدامى الهنود على أول تفكير واضح في شؤون اللغة وأول وصف لها باعتبارها لغة، وليست المرتبة الرفيعة التي بلغها هذا الوصف للوهلة الأولى هي أقل ما يدهشنا في هذا الموضوع"(١٤)، واللغة هاهنا هي السنسكريتية أداة الأدب "الويدي"(١٥). ولما كان عملهم يهتم بضبط النصوص وتحديد طرائق قراءته، سار منهجهم على الطريقة الوصفية التقريرية، ولم تزل آراء بنيني "Panini" اللغوي الهندي مقبولة عند اللغويين الغربيين المحدثين حتى يومنا هذا(١٦).

١١- عبده الراجحي: **فقه اللغة**، ص ١٢ وما حولها.

١٢- عبد الصبور شاهين: **في علم اللغة العام**، بيروت، ١٩٨٣م، ط ٣، ص ١٤ وما حولها.

١٣- عبده الراجحي: **فقه اللغة**، ص ١٢ وما حولها.

١٤- جورج مونين: **تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين**، ترجمة بدر الدين القاسم، دمشق، ١٩٧٢م، ص ٦٢ وما حولها.

١٥- **لغة الهنود** القدامى يرجع الفضل في اكتشافها إلى اللساني وليام جونز سنة ١٦٨٦م حيث كان يشتغل قاضيا بالهند وقتها أشار إلى أن اللغات: السنسكريتية واليونانية واللاتينية تنتسب إلى عائلة واحدة.

١٦- جورج مونين: **تاريخ علم اللغة**، ص ٣٢.

ج- **الدرس اللغوي والمصريون القدامى:**

يذهب "وايتني" اللساني الأمريكي إلى أن اللسانيات الحقيقية بدأت في هذا القرن أي القرن العشرين، فيردّ عليه جورج مونين بقوله: "لكن هذا الرأي لا بد من أن يعاد النظر فيه، وأن يدرس في تفاصيله، ذلك لأن اللسانيات لم تنبثق فجأةً في القرن التاسع عشر كما تنفجر العاصفة في سماء صافية، لقد مهدت لظهوره آراء سابقة في اللغة، وعلى الأقل منذ مصر القديمة"(١٧). وقد تأكد هذا الموقف في الدراسات اللغوية الحديثة، إذ قرر اللغويون أن أول منهج يمكن وصفه بأنه منهج في فقه اللغة هو ذلك الذي وضعته مدرسة الأسكندرية القديمة في القرن الثالث قبل الميلاد(١٨). وإليه أشار فرديناند دي سوسير "Ferdinand de Saussur" إمام اللسانيات الحديثة في كتابه **محاضرات في اللسانيات العامة**، فأكد أنه في مدرسة الإسكندرية ولد فقه اللغة غير أن اللغة لم تكن الموضوع الوحيد له، إذ كان يرمي إلى تفسير النصوص وتحديدها وشرحها، وكان عمله منصبّاً على شرح القصائد اليونانية القديمة وتفسير مفرداتها، فكثرت شروحات هوميروس وغيره من الشعراء(١٩).

د- **الدرس اللغوي والقرون الوسطى والقرن التاسع عشر:**

ظلت دراسة اللغة في هذه الفترة منصبّة على اللغتين اليونانية واللاتينية، وكانت دراسة اللغة على وجه الخصوص وسيلة لكسب الاحترام وسط المجتمع، إذ كان أمل كل متعلم هو الوصول إلى مرتبة "شيشرون". وازدادت الرغبة في تعلم اللغات بعد اختراع الطباعة حيث توجه الناس إلى تعلم اللغة العبرية بعدها لغة الجنة، وأصل اللغات جميعا(٢٠). وقد كانت دراسة اللاتينية ذات تأثير واضح على منهج فقه اللغة بعد ذلك لأنها حددت المنهج الذي يعتني بالجوانب المكتوبة للغة فقط. وذلك يعني أن دراساتهم أهملت الجوانب النطقية أو التلفظية(٢١).

هـ- **الدرس اللغوي واكتشاف السنسكريتية:**

يذهب "جورج مونين" إلى أن أهم حادثة طرأت في الفترة بين ١٨١٦-١٨٧٦م هي بلا منازع العناية باللغة السنسكريتية(٢٢) التي يعود الفضل في اكتشافها إلى اللساني "وليام جونز" إذ اهتدى إلى

١٧- سوسير: **محاضرات في الألسنية**، ترجمة يوسف غازي، ومجيد النصر، الجزائر ١٩٨٦م، ص ١١.

١٨- عبده الراجحي: **فقه اللغة**، ص ١٢.

١٩- نفس المرجع، ص ١٣.

٢٠- نفس المرجع، ص ١٣.

٢١- جورج مونين: **تاريخ علم اللغة**، ص ٥٨.

٢٢- سوسير: **محاضرات في الألسنية**، ص ص ١٥-١٦.

أن السنسكريتية واليونانية واللاتينية كلها لغات انحدرت من أصل واحد، وقد سيطرت السنسكريتية في هذه الفترة على الأبحاث اللغوية، ووجّهتها إلى الاعتناء بفكرة انتماء اللغات إلى أصل واحد ومسألة التقسيم السلالي للغات، فظهرت أبحاث كثيرة اختلفت في عمقها، وبسطها القضية باختلاف عمق اللغويين أنفسهم، ولعل أبرزها كما يشير المؤرخون أعمال مدرسة النحويين المولدين التي كان جميع أعلامها ألمانا، وهم "برجمان" و "أوسطوف" و "وبراون" و "وسيفرس" إذ كان لهؤلاء الفضل ـ كما أشار فرديناند دي سوسير في كتابه **محاضرات في اللسانيات العامة** ـ في جمع نتائج المقارنة حسب المنظار التاريخي، فربطوا اللغة بنسقها الطبيعي، وصار ينظر إليها ليس كجسم يتطور بذاته، بل ينظر إليها على أنها نتاج للفكر الجمعي للمجموعات اللسانية(٢٣). والظاهر أن السنسكريتية كانت في هذه المرحلة هي أساس البحث اللغوي، يقول ماكس مولر: "أن السنسكريتية هي الأساس الوحيد للنحو المقارن، وسوف تبقى المرشد الوحيد الصحيح لهذا العلم. وعالم النحو المقارن الذي لا يعرف السنسكريتية شأنه شأن عالم الفلك الذي لا يعرف الرياضيات"(٢٤).

غير أن هذه الأبحاث اللغوية لم تخل من نقد وخلاف بين اللغويين أنفسهم، اذ هناك من رأى أن السنسكريتية أساس الدراسات اللغوية، وهناك من خالفه ووصفها بالبداية غير الصحيحة، كما أشار "اليس" Ellis، وهو من جيل "مولر" فقال: "في أيامنا هذه جاء كشف السنسكريتية، وبدأ "فقه اللغة"، ولكنه ـ للأسف ـ بدأ من النهاية غير الصحيحة، وذلك أن البدء بالسنسكريتية كان كأنه وصل لظواهر الحياة بشيء ميت، كما أنه من الخطأ بدء دراسة علم الحيوان بدراسة علم الحفريات أي بدء دراسة علاقات الحياة بعظام الموت"(٢٥). وبناء على ما تقدم، ومن خلال أبرز مراحل تطور الدرس اللغوي عند الغربيين يمكن أن نوضح المسائل اللغوية الحيوية الآتية:

١- لقد اختلف اللغويون الغربيون في تحديد مصطلح فقه اللغة "Philology" وربطه بموضوعاته الجوهرية كما هو الشأن عند العرب، بل إن الاختلاف لم يقف عند حدود الاصطلاح فحسب، وإنما امتد إلى نشأته، وقد أشار "فرديناند دي سوسير" إلى أنه يعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد حيث كانت مدرسة الإسكندرية تشتغل بأمور فقه اللغة وموضوعاته.

٢٣- عبده الراجحي: **فقه اللغة**، ص ١٦.

٢٤- عبده الراجحي: **فقه اللغة**، ص ١٦.

٢٥- اختلف اللغويون العرب في نقله إلى اللغة العربية، فسمّاه السعران الاشتقاق، وسماه كمال بشر تاريخ الكلمات، وسمّاه البعض علم أصول الكلمات، ونحن نفضّل الاصطلاح عليه باسم علم الاشتقاق.

٢- اختلف اللغويون في قيمة "فقه اللغة"، فعد عند فريق منهم نواة الأبحاث اللغوية، وعد عند فريق آخر علما لا فائدة ترجى منه مادام يهتم بالدراسات الميتة، وبالغوا في وصفه، فشبهوه بعلم الحيوان الذي يبحث في الحفريات، ويقيم نتائجه بالانطلاق منها.

٣- أجمعت الأبحاث اللغوية عند الغربيين على أن اللغة في كل مراحل تطورها كانت وسيلة، ولم تكن مقصودة لذاتها أي لم تكن هي الغاية من الدراسة.

٤- تكشف لنا من خلال الجهود اللغوية عند القدامى أن "فقه اللغة" عند الغربيين يهتم بالمكتوب، ومن ثمة فهو علم يهتم بالحرف على حساب الصوت أو الملفوظ.

٥- دراسة اللغويين الغربيين قبل اكتشاف اللغة السنسكريتية كانت مقتصرة على اللغتين: اليونانية واللاتينية.

٦- ارتبطت نشأة "فقه اللغة" عند الغربيين بكشف السنسكريتية من حيث حددت له موضوعاته وجوانبه واصطلاحاته، فدل على دراسة النصوص القديمة في صورها المكتوبة، واعتبرت اللغة وسيلة لدراسة الحضارة والثقافة الإنسانية.

٧- وجهت الدراسات اللغوية التي انطلقت من السنسكريتية الفكر الإنساني إلى الاهتمام بمسألة العلاقات اللغوية، فأفضى ذلك إلى ظهور معارف لغوية دقيقة كالنحو المقارن واللسانيات التاريخية.

٨- إعجاب اللغويين الغربيين بما أبدعوه من مناهج المقارنة، وما اكتشفوه من جديد جعل جهودهم مقصورة على فصيلة اللغات الهندية ـ الأوروبية، فأهملوا بذلك حلقة من حلقات الدرس اللغوي المهم، وهي الجهود العربية، ولو عادوا إليها لكانت النتائج مفيدة جداً للبحث اللغوي عند العرب خاصة والبحث اللغوي العام عامة.

٩- من فوائد الدراسات المقارنة أنها وجّهت الفكر البشري إلى الاعتناء بتاريخ الكلمات وتطورها، فأفضى ذلك إلى ظهور علم دقيق يبحث في أصول الألفاظ، اصطلح عليه باسم علم الاشتقاق "Etymology"(٢٦).

وقد تأثر اللغويون العرب بهذه الأبحاث اللغوية المهمة والاكتشافات الجديدة والنتائج المقنعة، فحاولوا الإفادة منها لمواكبة التطورات العلمية ولخدمة البحث اللغوي العربي عامة واللغة العربية خاصة، فجابهتهم مشاكل عدة كالمصطلح والموضوعات والمنهج، فكيف تعامل اللغويون العرب إذن مع هذه الإشكالات؟

٢٦- عبده الراجحي: **فقه اللغة**، ص ٣٣.

ثانيا: فقه اللغة عند العرب:

يجمع اللغويون العرب والمؤرخون ممن اهتموا بشؤون اللغة العربية، على أن الحياة العلمية العربية نشأت وتطورت في ظل القرآن الكريم، إذ كان القرآن يتلى في الصلوات أو يرتّل في المناسبات، وقد آمنوا بالكتاب قرآنا ينظم حياتهم كلها. ومن هذه الفكرة توجّه المسلمون نحو "العلم" لأجل فهم النص القرآني والوصول إلى أحكامه، فارتبطت الحياة العلمية العربية بالنص القرآني، وهو الأمر الذي جعلهم يبدأون بالجانب العلمي قبل النظري، فكانت قراءة القرآن من طريق التلقي والعرض أسبق من وضع القواعد النظرية وتحديد منهج القراءات، وكان التفسير بالأثر أسبق من التأويل وغيره، وكان الفقه أسبق من علم الأصول(٢٧).

هكذا نتبين من خلال هذه التوجهات العامة أن تطور الدراسات اللغوية عند العرب بدأت بما هو عملي من حيث جمع الألفاظ وتصنيفها وضبطها، ثم دراسة التراكيب اللغوية قبل الوصول إلى منهج علمي في دراسة اللغة، لذلك يمكن إقرار النتيجة التالية، وهي في غاية الأهمية، إذ عند التصدي إلى الدراسات اللغوية عند العرب سواء ما اصطلح عليه باسم "فقه اللغة" أو "علم اللغة" بالمفهوم التراثي ينبغي أن يبدأ من هذه الحقيقة أي أن الحياة العلمية العربية لا تصح دراساتها إلا من "الداخل" بمعنى أن معالم نشأتها، وأسباب تطورها لا ينبغي أن تلتمس إلا من خلال الحياة العربية وليس من خلال تأثيرات خارجية أغلبها مزعوم لا يصمد أمام النقد العلمي الصحيح. والذي لا ريب فيه أن العلوم العربية نشأت منذ البداية متصلة مترابطة، ثم تطورت بعد ذلك في مناخ عقلي صنعته الحياة العربية، فكان كل علم يتأثر بالعلوم العربية الأخرى لا بعلوم منسوبة إلى أرسطو أو اليونان. وعلى العموم فعلم اللغة عند العرب تأثر بمناهج الفقه والكلام، وتأثر الفقه والكلام بعلوم اللغة، وهكذا(٢٨). وبناء عليه فالدرس اللغوي عند العرب نشأ لحفظ القرآن الكريم من تسرب اللحن إليه. أما الغاية من الدراسة ـ كما يراها عبده الراجحي ـ فتتمثل في السعي لفهم النص القرآني باعتباره الدستور الذي ينظم حياتهم(٢٩).

ونحن نثير هذه الإشكالات والقصد منها هو ربط المعرفة اللغوية بالغاية التي أنشئت من أجلها، ونحسب هذا الإجراء كفيلاً بأن يبرز الفروق الجوهرية بين علم وآخر أو بين دراسة لغوية عند

٢٧- نفس المرجع: ص ٣٣.

٢٨- نفس المرجع: ص ص ٣٣ -٣٤.

٢٩- نفس المرجع: ص ص ٣٤- ٣٥.

قوم ما وأقوام آخرين، لأن الغاية هي السبيل الوحيد الذي يكشف الفلسفات أو الخلفيات التي تقوم عليها المعارف سواء كانت حديثة أم كانت قديمة. وغايتنا من البحث في هذه المسألة اللغوية الحيوية هي محاولة الكشف عن السبل التي انتهجها اللغويون العرب القدامى في تعاملهم مع الدرس اللغوي ومصطلحاته، حتى يتسنى لنا التمييز بوضوح بين الأبحاث اللغوية الأصيلة والدراسات الحديثة أو المعارف وموضوعاتها والمناسب لها من المصطلحات المبتكرة. والواضح أن هناك مجموعة من المصطلحات قد ظهرت في بداية الدراسات اللغوية عند العرب استخدمها اللغويون القدامى، وأطلقوها على علوم لغوية بعينها، غير أن هذه التسميات تعددت وكثرت، فنتج عنها غموض في الاستعمال، وانتقل الإشكال ذاته إلى اللغويين المحدثين، فاختلفوا في التسمية وتباينت آراؤهم في التعامل مع المصطلح والموضوع، ولعل من أبرز هذه المصطلحات اللغوية القديمة التي تطورت بتطور البحث اللغوي عند العرب: اللغة، النحو، العربية، فقه اللغة، علم متن اللغة، علم اللغة، علم اللسان، علوم الأدب، علوم العربية.

يقول محمود فهمي حجازي: "إن المؤلفين العرب أطلقوا على الاشتغال بالمفردات اللغوية جمعاً وتأليفاً عدة مصطلحات أقدمها مصطلح اللغة"(٣٠) فقد وصف أبو الطيب اللغوي ٣٥١هـ أبازيد والأصمعي وأبا عبيدة برجال اللغة، فكان أبو زيد أحفظ الناس للغة، وكان الأصمعي يجيب في ثلثها، وكان أبو عبيدة يجيب في نصفها، وكان أبو مالك يجيب فيها كلها(٣١). والمقصود بمصطلح "اللغة" هنا هو البحث في مفردات اللغة لمعرفة دلالاتها(٣٢)، فالأصمعي لغوي، لأنه جمع ألفاظ البدو وسجّلها في رسائل لغوية مصنفة في موضوعات دلالية، والخليل لغوي، لأنه أول من حاول حصر الألفاظ العربية وتسجيلها في معجمه **العين**، وابن دريد لغوي، لأنه ألّف معجم **.جمهرة الكلام**، والأزهري لغوي، لأنه ألف معجمه **تهذيب اللغة**.

وظل استخدام مصطلح "اللغة" بمعنى بحث المفردات وتصنيفها في معاجم وكتب موضوعية سائدا فترة طويلة(٣٣)، وبالتالي كانت لفظة "اللغة" تطلق على العلم الذي يختص بجمع الألفاظ اللغوية ودراستها، والنسبة إليها "لغوي"، ومعناه العالم الذي يشتغل بمفردات اللغة وإخراج المعاجم

٣٠- محمود فهمي حجازي: **أسس علم اللغة**، الهيئة المصرية العامة لكتاب، ص ٦٦.

٣١- أبو الطيب اللغوي: **مراتب النحويين**، تحقيق غزة حسين، دمشق، ١٩٦٣م، ص ٤١.

٣٢- فهمي حجازي: **أسس علم اللغة**، ص ٦٦.

٣٣- فهمي حجازي: **أسس علم اللغة**، ص ٦٦.

اللغوية. أما مصطلح "النحو" فهو من أقدم المصطلحات، وقد كان في البدء مشتملا على معارف النحو والصرف وبعض الجوانب اللغوية، والنسبة إليه "نحوي"، يقول أبو الطيب اللغوي: "وأما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما نقله اللغوي، ويقيس عليه"(٣٤). وبهذا المعنى كانت كتب الطبقات تميّز بين المشتغلين باللغة والنحو، لذا عد سيبويه والمبرد من النحاة. وهناك مصطلح آخر كان العرب يطلقونه ويقصدون به "النحو"، وهو مصطلح "علم العربية" كما أوضح ذلك ابن فارس بقوله: "وكذلك الحاجة إلى علم العربية فإن الإعراب هو الفارق بين المعاني، ألا ترى أن القائل إذا قال: "ما أحسن زيد" لم يفرق بين التعجب والاستفهام والجزم والإعراب"(٣٥).

هكذا عالج القدامى المسألة اللغوية، وبهذا الوعي انطلاقا من الغاية التي حددوها واجتهدوا في وضع المصطلحات لها، وهي ككل البدايات الأولى التي تبحث عن الجديد والطريف تكون لها محاسن السبق ومزالق البحث، لذا تعددت التسميات وتداخلت المصطلحات والموضوعات. ويستمر الاجتهاد والعطاء في ميدان اللغة وموضوعاتها حتى يطل القرن الرابع الهجري فيظهر مصطلح "فقه اللغة" بفضل ابن فارس صاحب كتاب **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**. يقول الأستاذ حجازي: "وبذلك ظهر مصطلح "فقه اللغة" لأول مرة في التراث العربي عنوانا لكتاب وتسمية لفرع من فروع المعرفة، ولم ينتشر هذا المصطلح إلا بقدر محدد"(٣٦). وقد انتهج محمد بن إسماعيل الثعالبي ٤٢٩هـ النهج نفسه، فأطلق على كتابه اسم **فقه اللغة وسر العربية**، ولا شك أن هذه التسمية ـ فيما نقدّر ـ هي التي أوحت إلى اللغويين المحدثين استعمال مصطلح "فقه اللغة" مقابل الاصطلاح الأجنبي "philology" على خلاف في المنهج بين الاستخدام عند الغربيين والعرب(٣٧).

ويبدو واضحا من خلال رأي عبده الراجحي أن المصطلحين: "فقه اللغة" عند العرب و "فقه اللغة" عند الغرب مختلفان لاعتبارات علمية ومنهجية، وهذه الفكرة ـ بتقديرنا ـ مهمة جدا، لأنها قد تقودنا في آخر الدراسة إلى التفريق بين المعرفتين، إذ نحن نتساءل: هل استخدم "فقه اللغة" عند العرب بالدلالة نفسها التي استخدمت عند اللغويين الغربيين المحدثين؟، وهو الانشغال الذي أثاره

٣٤- السيوطي: **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق محمد جاد المولى وغيره، مصر، ج ١، ص ٣٠، وأبو الطيب اللغوي: **مراتب النحويين**، نفس المرجع.

٣٥- ابن فارس: **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، تحقيق الشويمي، بيروت، ١٩٦٣م، ص ٦٦.

٣٦- حجازي: **أسس علم اللغة**، ص ٦٧.

٣٧- عبده الراجحي: **فقه اللغة**، ص ٤١.

عبده الراجحي بقوله: "والسؤال الذي يعرض الآن لنا هو: هل استعمل ابن فارس والثعالبي مصطلح "فقه اللغة" بالمعنى نفسه الذي فهمه الغربيون بعد ذلك، وإذا لم يكن كذلك، فما هو العلم الذي يمكن أن ندرج تحته ما كتبه هذان المؤلفان الجليلان"؟(٣٨).

ومهما يكن من أمر فاللغويون العرب المحدثون ممن نالوا قسطا كبيرا من علوم فقه اللغة واللسانيات، وتخرجوا من مدارس شهيرة كالمدرسة الفرنسية والألمانية والإنجليزية وغيرها... يدرك القارئ من معالجتهم اللغة وموضوعاتها ومناهجها أنهم يفصلون بين الدراسات اللغوية القديمة والدراسات الحديثة من خلال المرجعيات الفكرية والمناهج والموضوعات. وما يلفت الانتباه أن مصطلح "فقه اللغة" الذي يمثل حلقة من حلقات الدراسة اللغوية عند العرب قد خفت أضواؤها ـ فيما نعلم ـ فلم يستخدم ولم يعتن به ولم ينل قسطه من الدراسة والاهتمام، وفي المقابل نجد ظهور مصطلح "علم اللغة" يتطور، فينتقل من الدلالة على الإعراب إلى الدلالة على دراسة لألفاظ مصنفة في موضوعات مع بحث دلالاتها، فالاسترابادي يفرق بين علم اللغة وعلم التصريف: فموضوع الأول دراسة الألفاظ، والثاني معرفة القوانين الخاصة ببنية هذه الألفاظ(٣٩)، و "علم اللغة" عن ابن خلدون هو "بيان الموضوعات اللغوية"، والمقصود بذلك الدلالات التي وضعت لها الألفاظ(٤٠).

وهناك مصطلح آخر شحن بهذه الدلالات هو "علم متن اللغة" حيث أطلقه بعض المؤلفين على دراسة دلالات المفردات اللغوية. يقول ابن يعقوب المغربي: "علم متن اللغة هو معرفة أوضاع المفردات اللغوية، ويسمى هذا العلم المتن، لأنه ظهر الشيء ووسطه وقوته، وهذا العلم تعلق بذات اللفظ ومعناه"(٤١). وقد اتبع بعض المؤلفين اللغويين العرب المحدثين هذا النهج في الاصطلاح فاستخدمه الشيخ حسين المرصفي في كتابه **الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية**، واستعمله أحمد رضا عنوانا لمعجمه **متن اللغة**. أما مصطلح "علم اللسان" فيرجع إلى الفارابي الذي أطلقه في كتابه **إحصاء العلوم**(٤٢)، وقصد به كل العلوم اللغوية بما في ذلك: صناعة الشعر والنثر والكتابة وقوانين تصحيح القراءة وقوانين الأشعار. ومن هنا فقد ضم مصطلح "علم اللسان" عند الفارابي علوم اللغة وغيرها من

٣٨- نفس المرجع: ص ٤٢.

٣٩- الشيخ الرضي: **شرح الكافية في النحو**، تحقيق محمد نور الحسن، بيروت، ١٩٧٥م، المقدمة.

٤٠- **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق علي عبد الواحد وافي، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ١٢٥.

٤١- القزويني: **شرح التلخيص**، بغداد، ١٩٦٧م، ص ٤٦.

٤٢- حسين المرصفي: **الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية**، ط ٢، ج ١، ص ٢٠.

العلوم والمهارات[٤٣]. وتوسع هذا المفهوم عند ابن الأنباري، إذ أطلقه في كتابه **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**[٤٤] على ألفاظ النحو واللغة والتصريف وعلم الجدل في النحو وعلم أصول النحو والعروض والقوافي وصنعة الشعر وأخبار العرب وأنسابهم، مصطلح "علوم الأدب". وهكذا شمل هذا التصور عند ابن الأنباري العلوم اللغوية والأدبية وما يتصل بها من معارف. ولئن كان ابن الأنباري قد أطلق مصطلح "علوم الأدب" على "علوم اللغة"، فإن أبا حيان النحوي هو أول من أطلق مصطلح "علوم اللسان العربي" على "علوم اللغة"، وهو عنده يضم: علم اللغة وعلم الصرف وعلم النحو، واتبعه في هذه التسمية ابن خلدون، غير أنه قد أضاف إليها علم البيان وعلم الأدب[٤٥]، وبذلك يكون ابن خلدون قد جمع بين الدراسات اللغوية والأدبية، كما كان الحال عند الفارابي. ثم تبلور في خضم هذه الجهود اللغوية والدراسات المتنوعة مفهوم جديد اصطلح عليه باسم "العلوم العربية"، وقد ضم معارف كثيرة مثل "علم اللغة، علم الصرف، علم الاشتقاق، علم النحو، علم المعاني، علم البيان، علم العروض، علم القافية"[٤٦].

هكذا عالج القدامى المسألة اللغوية، وقد استعصت عليهم لصعوبتها، لذا اختلفوا في التسميات والمصطلحات، غير أن هذا الاختلاف في مراحله التاريخية، عده الدكتور محمود فهمي حجازي جزءا من تاريخ البحث اللغوي فدعا إلى تركه للحديث عن تاريخ العلم والنظر إلى المصطلحات العلمية الدقيقة على أساس المعجمات اللسانية المتخصصة، ومعارف اللسانيات الحديثة[٤٧].

فكيف نظر اللغويون المحدثون إلى هذه الظاهرة؟. وكيف تعاملوا مع مصطلحاتها؟ لكي نجيب عن هذه التساؤلات، نشير إلى أن هناك فريقين: الأول كان مدافعا عن فضل العرب وسبقهم إلى هذا الميدان، يقول الأستاذ محمد المبارك: "يعتبر فقه اللغة من العلوم الحديثة في هذا العصر وقد كان العرب في هذا أسبق من غيرهم للسير به خطوات كبيرة وبلوغ المرحلة التي أصبح فيها علما قائما بذاته واضح المعالم، علمي الأسس والطريقة"[٤٨]، أما عبده الراجحي فينوه بجهود القدامى لكنه يدعو إلى

٤٣- الفارابي: **إحصاء العلوم**، تحقيق عثمان أمين، القاهرة، ١٩٤٩م، ص ص ٤٧-٤٨.

٤٤- حجازي: **أسس علم اللغة**، ص ٧٠.

٤٥- ابن الأنباري: **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق عطية عامر، بغداد، ١٩٥٩م، ص ٥٣.

٤٦- **مقدمة ابن خلدون**، ١٢٥٤.

٤٧- التهانوي: **كشاف إصلاحات الفنون**، ج ١، ص ص ١٨-١٩.

٤٨- حجازي: **أسس علم اللغة**، ص ٧٣.

إدراج أعمالهم اللغوية ضمن الدراسات اللسانية، فهو يقول: "من هذا كله نتبين أن الدرس اللغوي كما تمثلته كتب ابن فارس وابن جني والثعالبي لا يصح إدراجه ضمن فقه اللغة كما فهمه أصحابه الغربيون، وعلينا أن ننسب انتماء هذا الدرس إلى اللسانيات"(٤٩). ومعنى هذا الكلام هو أن فقه اللغة عند العرب ليس هو فقه اللغة عند الغربيين، وحتى فقه اللغة كما نقدر لا نستطيع إدراجه ضمن موضوعات اللسانيات، لأن المؤلف ذاته استدرك فقال: "ونحن إذا كنا نعقد هذه المقارنة فإننا لاننكر أن هناك فرقا كبيراً بين منهج العرب في دراسة لغتهم وبين منهج اللغويين في اللسانيات"(٥٠) غير أن الدكتور علي عبد الواحد وافي قد خالف هذا الاتجاه فأشار إلى أن جل البحوث اللغوية التي تعرض لها بعض المؤلفين يمكن إدراجها ضمن موضوعات فقه اللغة، لأنه الاصطلاح المناسب لهذه المعارف(٥١). لكن فقه اللغة الذي يشير إليه الكاتب هو فقه اللغة كما فهمه الغرب، والتناول الفقهي العربي غير التناول الغربي. أما الفريق الثاني فقد حسم الموقف باعتماد مبدأ التفريق الواضح بين المعرفتين: القديمة والحديثة كما يدل على ذلك قول عبد الصبور شاهين: "إن القدماء من علماء العربية لم يكونوا يفرقون في الاستعمال بين مفهومي اللسانيات وفقه اللغة، بيد أن المحدثين من علماء اللغة العربية يفضلون استعمال التعبير لسانيات بناء على ما تلقوه من ثقافة غربية تنزع إلى تحديد المصطلحات، وبقي مصطلح فقه اللغة ذا دلالة على مفهوم محدود ضيق"(٥٢).

أما موقف الأوروبيين من مصطلح فقه اللغة "Philology" يدلّ على أنهم قد فهموه فهما خاصا، فالكلمة إغريقية الأصل وهي تعني على الترتيب: (٥٣).

١- معرفة الأدب الجميل ودراسة نصوصه؛

٢- دراسة لغة معينة بالتحليل النقدي لنصوصها، وقد عرف الرومان والجرمان شهادات في فقه اللغة؛

٣- الدراسات الشكلية للنصوص في المخطوطات المختلفة.

٤٩- محمد المبارك: **فقه اللغة وخصائص العربية**، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٨١م، ط ٧، ص ٢٨، وقد سار في هذا النهج وليد محمد مرلد، **المسار الجديد في علم اللغة العام**، ص ٧٣.

٥٠- عبده الراجحي: **فقه اللغة**، ص ٥٥.

٥١- علي عبد الواحد وافي: **علم اللغة**، ص ص ١٥-١٦.

٥٢- عبد الصبور شاهين: **في علم اللغة العام**، ص ٦.

٥٣- نفس المرجع: ص ٦.

وهنا ينبغي أن نشير إلى أن هناك من اللغويين المحدثين ممن ميزوا بين الجهود اللغوية القديمة والحديثة، فقصروا مصطلح فقه اللغة الذي استحدثه القدامى على الدراسات اللغوية في اللغة العربية وحدها(٥٤)، وهو السياق الذي يقول فيه عبد الصبور شاهين: "يمكن اعتبار فقه اللغة خاصا بدراسة العربية وحدها"(٥٥)، وهذا الاتجاه أكده إبراهيم السمرائي بقوله: "هذه دراسات في فقه اللغة تتصل طائفة منها بالعربية وحدها"(٥٦).

ونحن على ضوء ما تقدم يمكن أن نستنتج الحقائق التالية:

١- ظهور مصطلح فقه اللغة عند اللغويين العرب كان في فترة متأخرة أي في القرن الرابع الهجري.

٢- ظهرت قبل مصطلح فقه اللغة مصطلحات مثل: اللغة والنحو والعربية، وكان مجالها ضيقا ومحددا.

٣- اهتدى اللغويون القدامى إلى تحديد الغاية من الدراسة، وهي فهم النص القرآني وحماية القرآن الكريم من اللحن.

٤- كانت اللغة في الدرس اللغوي العربي غائبة، إذ لم تكن مقصودة لذاتها بل كانت وسيلة.

٥- تعددت المصطلحات واختلفت باختلاف مناحي الدراسة، فمفاهيم اللغة، النحو، العربية فقه اللغة، علم متن اللغة، علم اللغة، علم اللسان، علوم الأدب وعلوم العربية تكشف التنوع المنهجي في دراسة الظاهرة اللغوية عند اللغويين العرب.

٦- انتقال المصطلح اللغوي العربي من التخصيص إلى العموم كمفهومي اللغة والنحو وعلوم الأدب وعلوم العربية.

٧- اختلاف القدامى في التسميات انتقل عدواه إلى اللغويين المحدثين، فالتبس عليهم الأمر بين الاصطلاح العربي والاصطلاح الغربي كعلي عبد الواحد وافي ومحمد المبارك وصبحي الصالح، إذ خلطوا بين مصطلحي فقه اللغة واللسانيات.

ومصطلح فقه اللغة "philology" عند الغربيين باعتماد المنهج الاشتقاقي، نجده يتكون من وحدتين: الأولى "philos"، ومعناه في اللاتينية القديمة: الحب أو الصداقة، والثانية: "logos"، ومعناه

٥٤- توفيق محمد شاهين: **علم اللغة العام**، بيروت، ١٩٨٠م، ص ١٨.

٥٥- عبد الصبور شاهين: **في علم اللغة العام**، ص ٨.

٥٦- إبراهيم السمرائي: **فقه اللغة المقارن**، بيروت، ١٩٨٢م، ط ٢، ص ٥.

في اللاتينية: اللغة. أما تركيب هذه الوحدات وجمعها "philos "logos"، فيعطي مفهوم حب اللغة أو فلسفة اللغة التي تدفع إلى فهمها وفقهها وعلمها.

هذا من حيث النظرة إلى المصطلح ومكوناته، أما حد مصطلح "philology" في المعجمات اللسانية المتخصصة، وكما يراه "جون ديبوا" في معجمه اللساني فهو العلم الذي يبحث في موضوعات ذات الصلة بالجانب التاريخي للتعرف على الحضارات القديمة من خلال الوثائق المكتوبة المتروكة بالقدر الذي يفسح المجال كي تفسر نشاطات المؤسسات القديمة وتفهم(٥٧). ورؤية "جون ديبوا" هنا واضحة في التفريق بين فقه اللغة واللسانيات من حيث عد المعرفتين مختلفتين سواء في الاصطلاح أم في المعرفة، فهو يقول: "اللسانيات وفقه اللغة ليسا مترادفين، وحتى العلوم التي يتصل بها كلاهما مختلفة"(٥٨). وهذا الموقف يؤكده ماريوباي، فيشير إلى أن موضوع فقه اللغة لا يختص بدراسة اللغات فقط، ولكن يجمع إلى ذلك دراسات تشمل الثقافة والتاريخ والتقاليد والنتاج الأدبي للغات موضوع الدراسة، أما اللسانيات فتركز على اللغة لذاتها(٥٩).

وقد تفطن محمود فهمي حجازي إلى الخلط الذي يحدث بين المصطلحين والمعرفتين، فنبّه على ذلك بقوله: "إن علم النصوص هو ما يطلق عليه في اللغات الأوروبية اسم: "philology"، وقد تحدد مجاله بالتدقيق بالمخطوطات وإعدادها للنشر العلمي وفك رموز الكتابات القديمة وكل ما يتعلق بتقديم النصوص والنقوش، وهذه الدراسات هي أعمال علمية جليلة تقوم عليها مباحث تاريخية أو لغوية أو أدبية... وغيرها، وهكذا يخرج العمل الفيلولوجي عن ميدان اللسانيات"(٦٠).

ولفرديناند دي سوسير رأي حيث يعد فقه اللغة مرحلة أساسية للسانيات ويعتبر مصطلح "philology" من نتاج الحركة العلمية(٦١)، التي أسسها فريدريك أوجست وولف عام ١٧٧٧م.

هكذا يبدو للمهتم بالظاهرة اللغوية سواء عند القدامى أم المحدثين أن حدود تشكل اللسانيات بدأ يأخذ وضعه الطبيعي منذ آواخر القرن التاسع عشر، وذلك عندما أعلن فرديناند دي سوسير رائد هذا العلم أن موضوع اللسانيات الوحيد هو اللغة التي ينبغي أن تدرس لذاتها، ومن أجل

٥٧- Jean dubois et autres dictionnaire de linguistique "philology", Paris, 1973, p. 371.

٥٨- نفس المرجع: ص ٣٧١.

٥٩- ماريوباي، **أسس علم اللغة**، ترجمة أحمد مختار عمر، القاهرة، ١٩٨٣م، ط ٢، ص ٣٥.

٦٠- حجازي: **أسس علم اللغة**، ص ٣١، وانظر كتابه الآخر **علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة**، ص ٦.

٦١- Ferdinand de Saussure, ***cours de linguistique generale,*** Paris, 1980, p. 13.

ذاتها[٦٢]، وأوضح أن اللسانيات تدرس اللغة بغضّ النظر عن قيمتها فلا يهم اللساني إن كانت متقدمة أم متخلفة، أدبية أم علمية فصيحة أم هجينة، لأن غاية اللساني هي أن يدرس هذه اللغة لغرض الدراسة ذاتها، كما أوضح في السياق ذاته أن فقه اللغة علم يختلف عن اللسانيات، لأن اللغة فيه وسيلة وليست غاية، وغرض الفيلولوجي هو دراسة النصوص وشرحها وتفسيرها باعتماد المنهج النقدي[٦٣]، وإليك هذه الأساسات التي أفضى إليها الوصف.

١- لقد أدرك اللغويون القدامى في القرن الرابع الهجري مصطلح فقه اللغة الذي كان مرجعه الحضارة العربية الإسلامية وموضوعاته خصائص العربية، ومن ثمة فهي دراسة خاصة بالعربية وحدها، لذا نقترح إطلاق مصطلح فقه اللغة العربية على موضوعات العربية القديمة، لتمييز جهود القدامى والأصيل عندهم، من جهود المحدثين والغربيين خاصة وما أضافوه أو أبدعوه، إن كانت هناك إضافات أو إبداعات.

٢- هناك فرق واضح بين فقه اللغة عند العرب الذي يبحث في خصائص اللغة العربية فقط، ينظر إلى اللغة على أنها وسيلة للوصول إلى غاية معينة والفيلولوجيا "philology" عند الغربيين الذي يهتم بالنصوص المكتوبة ويبحث في خصائص اللغات وانتماءاتها قصد تشكيل فصائلها الكبرى.

٣- هناك فرق بين الفيلولوجيا: "philology"، واللسانيات: "linguistics" في التصور الغربي، لأن الفيلولوجيا موضوعه النصوص القديمة ينظر إلى اللغة على أنها وسيلة، أما اللسانيات فموضوعها الوحيد اللغة التي تنظر إليها على أنها غاية لأنها هي الجوهر وهي موضوع الدراسة.

وبناء على هذه الحقائق يتضح الفرق العلمي بين فقه اللغة العربية والفيلولوجيا "philology" واللسانيات "linguistics" من حيث المصطلحات والمرجعيات والمناهج والموضوعات.

* * * *

٦٢- فرديناند دي سوسير: **محاضرات في الألسنية**، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، ص ٢٨٠.

٦٣- نفس المرجع: ص ١١.